

في نور محمّد فاطمة الزهراء

وامتلأت فاطمة عندئذ بشعور غامر من التفاؤل وراحة البال. فما أن هدأ بها المستقرّ حتّى شهدت المسلمين - وإنّهم لحركة دائبة - يسعون بكلّ الثقة والاعتداد إلى الانتشار فوق وجه الجزيرة، منساحين [820] على الحزون [821] والهضاب، في السهول والوديان، بين الفجاج والشعاب، انسياح الشعاع من قرص الشمس ساعة الشروق. كمثّل أرض طيّبة - تلکم الأرجاء - غرست يد القدر فيها أعواد زنابق تعهّدتها غيوث العزائم بالسقيا، فإذا هي زهرات بيضاء، نقيّة نقاء الإيمان (كَمَثَلٍ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْهُ أُكُلًا هَلَا ضَعُفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصْبِحْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ*) [822] أينع الجنى، وطابت الثمار. أجل، تبدّلوا بعد هجرتهم حالاً بحال. بيئتهم الآن سلام، أهلها وحبّوا إياهم فودّدهم إياهم، لا تمرّق بينهم ولا تفرّق ... لا شقاق، بل وفاق ... لا أوس لا خرج، بل أنصار. على قلوبهم مسح الإيمان بكفّ العطوف، ونزع ما في صدورهم من غلٍّ، فنسوا سخائم [823] الأجيال. من لغتهم محال الحدّ الفاصل بين الغربة والقربة، فتقاسموا أسباب حياتهم مع الضيفان. لا قبلية ... فلا تنابز بالأسماء والألقاب. لا طبقية ... فلا تطاول بالوجوه والأحساب. لا عصبية ... فلا تفاخر بالأصول والأنساب. فيهم الروميّ، وفيهم الحبشيّ، وفيهم العربيّ، وفيهم الزنجيّ ... ومنهم من امتدّت بهم جذورهم الأولى إلى الوراء حتّى يعقوب.